بدلا من الرصاص حوار بالكلمات

شفيق الحوت

عندما تقرر قيادة المقاومة الفلسطينية في تعريفها للمقاومة بأنها طليعة نضالية للجماهير العربية الرافضة بالكلمة والمتصدية بالسلاح للغزوة الامبريالية الصهيونية على فلسطين والوطن العربي كله ، فان هذا القرار المبدئي ، يفرض عليها من جملة ما يفرض من مواقف نظرية وممارسات عملية ، أن تظل باستمرار ، وهي تحلل ازماتها وصراعاتها السياسية في المنطقة العربية ، من نافذة قومية قادرة على استيعاب الصورة الشاملة لحركة الصراع العربي — الاسرائيلي ، وذلك لكي لا تنزلق ، مهما كانت حدة الظروف التي تتعرض اليها ، الى مهاوي الشوفينية الفلسطينية ومطبات المعارك القطرية .

فان ما جرى في الاردن من صراع دموي ، وما نقف اليوم على شفير الوقوع فيه من صراع مماثل في لبنان ، لم يكن في حقيقته الا صراعا سياسيا حول الموقف من الغزوة الامبريالية الصهيونية واسلوب التصدي لها . وهو صراع لا قيمة فيه للهوية القطرية بمعناها الجغرافي على الاطلاق ، ومن الممكن ان تشهده أي ساحة عربية اخرى يصل الحكم فيها الى قناعة تامة بأنه أصبح ، وفق تقديراته للموقف وتطلعاته للخروج من أزماته على تناقض مع تقديرات المقاومة الفلسطينية وتطلعاتها .

وانها لمغالاة خادعة أن يتلمس أي نظام عربي اعذاره لضرب المقاومة في البحث عن مخالفاتها او اخطائها أو سرد تصرفها — ان توفرت مثل هذه الاعذار — في الدولة « المضيفة » لها ولجماهيرها .

ان المخالفات والاخطاء وسوء التصرف لا تعالج بالقمع والارهاب ولا بالقوات المسلحة وفي كل ميادين الرماية برا وجوا وبحرا .

مثل هذه القضايا والمشاكل ، تحل كما تحل القضايا والمشاكل المحلية التي يرتكبها المواطنون في أي قطر ، ضمن اطارات الشرطة واجهزة القضاء .

ولا أظن ان ثمة داع للتركيز على هذه النقطة بالذات،فلنا مما جرى في الاردن عام ١٩٧٠ ما يغنينا عن اية مرافعة . فلقد بدأ النظام الاردني حملته الارهابية ضد المقاومة بحجة الحفاظ على « أنظمة السير في الطرقات » لينتهي باتباع « وجهة سير سياسية » مغايرة ومناقضة لوجهة سير الثورة الفلسطينية . وهنا كان سر الخلاف وسبب الصراع وما ترتب عن ذلك من مجزرة بشرية تبعتها مجزرة سياسية أوصلت النظام في الاردن الى ما وصل اليه من استسلام لارادة العدو دون أي مقابل على الاطلاق سوى العزلة عن المحيط العربي والقلق ضمن اطار الاسرة الواحدة .

ولن نقع ، وموضوعنا يتناول أزمة المقاومة في لبنان ، في أوهام الظن بأن لبنان هو الاردن او العكس ، وان عام ١٩٧٠ يعيد نفسه عام ١٩٧٣ .

فرغم كل مظاهر التشابه ، ومنها ما هو قائم فعلا ، بين أزمة المقاومة في الاردن وازمتها في لبنان ، فان هناك مظاهر تباين واختلاف . كذلك ان المناخ السياسي لعام ١٩٧٠ وما